ألقاب الشرف والتعظيم
عند العرب
للأب أنستاس مارى الكرملى

— ٣ —

٧ — القمس

تقدم لنا ذكر القمس ، وقد ذكره غير واحد من فقهاء اللغة وجاء فى بيت شعر ، لأحد شعراء حلب فى سنة ٥٤٤ للهجرة (فى ١١٤٩ و١١٥٠ للميلاد) ، ما هذا نصه (فى كتاب الروضتين ص ٦٤ من طبعة باريس) :

«واستقودوا الخيل مُهْرِيّاً واستنقدت لنا ،

قوارِصَ الكفْر فى ذلٍّ وفى صَغَرِ»

فيكون مفردها هنا : (قُمْس) ، ولاتينيتها Comes ، بمعنى Comte الفرنسية . وجاءت أنثاها (قُمْسِيّة) . قال فى الكتاب المذكور ، (ص ١٩٩) : « وأخو صاحب جُبَيل ، وابن القومصية » — وفى ص ٢٠٠ : « وأما ابن القومصية فإنه استفكته أمه »

وقال فى ص ١٩١ : « ووصل فى هذه السنة (٥٧٣ هـ ١١٧٧ و١١٧٨م) ، إلى الساحل من البحر ، كند كبير يقال له اقلندس ، (صوابه إفليبُّس Philippus) أكبر طواغيت الكفر » وفى ص ٢٥٧ و ٢٥٨ ، ذكر القومص خمس مرات ، والقَوْمَصية مرة واحدة . ثم تكرر ذكر القومس مراراً عدة وفى ص ٢٧١ ذكر « الملك وكفوده » وهو جمع كند ثم تكررت هذه الألفاظ باختلاف وجوهها ، لكنها لم تختلف عما ذكرناه هنا فلا حاجة لنا إلى الإكثار منها

ولم يذكر أرباب المعاجم هذه المفردات جميعها وبلغاتها فى دواوينهم . فقد قيدوا أشياء منها وأهملوا شيئاً آخر . فأما ما قيدوه فالقومس . قال السيد مرتضى : القومس بجوهر الأمير بالنبطية[1] . نقله الصاغانى عن ابن عباد ؛ وقال الأزهرى : الملك الشريف ... وقيل : هو الأمير بالرومية

قلنا : وهذا هو الصحيح ، لا من اللغة النبطية ، وإن كانت هى السبب إلى نقلها إلى العربية ، ومعناها الأصلى فى الرومية الرفيق ، لأنه كان فى بادئ الأمر يرافق الملك فى حروبه وتنقلاته ثم أطلق على الأمير ؛ ثم قال الشارح : والقمّس كسكّر : الرجل الشريف . كذا نقله الصاغانى وهو قول ابن الأعرابى وأنشد:

وعلت ... (البيت)

فسره بالسيد والجمع قامس وقمامسة . أدخلوا الهاء لتأنيث الجمع ؛ والقمامسة : البطارقة نقله الصاغانى عن ابن عباد ولم يذكر واحدة وكأنه جمع قمّس كسكّر

قلنا : إن البطارقة هنا بمعنى الأشراف من أكابر القوم . وكذلك قولهم القومس : الأمير ؛ والقمس : الرجل الشريف . فكل هذه المعانى مرجعها واحد ، وإنما الفروق هى من بعض الشراح . أما من جهة التحقيق ، فالقومس أو القمس غير البطريق وهذا غير الرجل الشريف ؛ والرجل الشريف غير كبير القوم أو أميرهم . أما التوسع فى المعانى فأشهر من أن يذكر

والأقباط يسمّون كبير قسوسهم بالقمص كالقُفل ، أو القمُّص بضم الأول وتشديد الثانى المضموم ، والجمع القمامصة . وسمى النويرى القامسة : قامصة بالصاد بمعنى الأشراف ؛ وهذا يشعر بأنه اعتبر المفرد قمصاً ، وزان سكر ، بصاد فى الآخر . وهذا من لغات مضر ، أى قلب السين صاداً للتفخيم . وكذا فعل ابن الأثير المؤرخ ؛ فإن الذى سماه بعض المؤرخين قومساً ، سماه هو قومصاً : وسمى الأنثى قَوْمصة — قُوْمصيّة . قال فى الكامل (١١ : ٢٤٧ من طبعة الإفرنج) : « وكان القمص (وفى بعض الروايات القومص) صاحب طرابلس ، واسمه ريمند ابن ريمند الصنجيلى ، قد تزوج بالقومصة ، صاحبة طبرية » .

(١) كذا . والنبويون كثيراً ما يجهلون اللغة الأصلية التى نقلت منها الكلمة الدخيلة . ولما كانت تلك الحروف أخذت من الأعاجم — على اختلاف قومياتهم — على أيدى النبط ، أى الآرميين كانوا يظنون أنها نبطية أى أرمية ، زد على ذلك أنهم لم يحققوا المعنى الأول للكلمة ، لأنهم ما كانوا يدرسون لغى الأجانب فى ذلك العهد بل كانوا يكتفون بدرس الضادية .

وقد جرى على هذه التسمية كثير من المؤرخين الذين جاؤوا بعده . وقال فى وقائع سنة ٥٨٣ : « فَرَّ القومص إليها (إلى صور) بوم كسرتهم (كسرة الصليبيين) »

والذين جاؤوا بعد هذه الطبقة من المؤرخين الكتاب قالوا : الكند بدال فى الآخر ، أو القند بقاف ونون ودال . فمن الأول قول أبى شامة (راجع كلامه الذى أوردناه فى الدوفن)

ومنه أيضاً الكنداسطبل . وقد تحذف الهمزة . ومعناها أمير الإسطبل . وهو تعريب اللاتينية Comes Slabuti قال صاحب مختصر الدول (ص ٤٤٨ من طبعة بيروت) :

« ومن الأرمن الكندسطبل ، أخو التكفور حاتم » . — وفى الكامل لابن الأثير (١٠ : ٢١١) : « وأسر مقدمهم المعروف بكنداسطبل ، فافتدى نفسه . »

وقد غلط المعلم بطرس البستانى غلطاً فظيعاً فى معجمه ، محيط المحيط ، إذ قال فى ترجمة (ك ن د) : « الكُنْد : الشرس الشديد . فارسى » اهـ . — وقد نقل الكلمة عن فريتغ وهو مأخذه الأكبر ولم يصرح به . وفريتغ حاطب ليل ، لا يميز بين الحطب والجزل ، وقد أولج فى الضادية مفردات جمة لا حقيقة لها ، سوى سوء فهمه لكلام بنى عدنان ، أو لسوء قراءة كلمهم . هذا فضلاً عن أن البستانى لم يفهم معنى كلمة فريتغ اللاتينية وهى Strenuvs فهى لا تفيد أبداً معنى (الشرس) كما نقلها إلى لغتنا ، بل النشيط ، الثقف ، العامل ، الفعال . فهذه أغلاط فوق أغلاط فوق أغلاط ، هى ظلمات من فوقها ظلمات ومن تحتها ظلمات . ومن الغريب أنه نقل هذه الكلمة اللاتينية نفسها فى مادة (كُنْدِاكِر) بالمعنى غير المعنى المذكور . فقد قال : « الكنداكر : الشجاع الجسور » اهـ .

قلنا : وهذا يجوز لأنه من معانى الرومية المذكورة أى Strenuvs ؛ لكن كنداكر منقولة عن فريتغ أيضاً ، وقد قال فيها إنها فارسية ، وهى لا فارسية ولا عربية ولا هندية ولا صينية ، بل ولا واقواقية ، لأنها مركبة من كند Comte أى أمير وأكر Acre أى عكاء ، ومحصل معناها : كند عكاء أو أمير عكاء ، ويراد به هنا الكنت هنرى دى شنپانى وبالحروف الفرنسية : Le comte d'Acre, Henri de Champagne

وسعيد الشرتونى صاحب أقرب الموارد ، نقل هذين الغلطين عن البستانى ، ونسبهما تواً إلى فريتغ كذباً وزوراً . مع أن الحقيقة أنه نقلهما رأساً عن محيط المحيط ، فنكرانه لمجهود المعلم بطرس البستانى لا يشرفه ولا يبرر وهمه . فقد قال فى مادة (ك ن د) : « الكند بالضم الشرس الشديد (فارسى) ، نقله فريتغ عن بعض كتب العرب » اهـ . فلو نقل الشرتونى الكلمة تواً عن فريتغ ، لنقل معنى اللاتينية نقلاً صحيحاً غير ما نقله البستانى ، لكن أراد الله أن يكشف سوء عمله ، فقال ما قال كذباً وزوراً ، فكان عليه أن يعترف بالصدق ويقول : « نقلته عن محيط المحيط وهو نقله عن فريتغ » ؛ وهذا لم يحسن القراءة ولا فهم معنى اللفظة

وكذلك قال فى كنداكر : الكنداكر [وضبطها ضبط قلم بضم الكاف وإسكان النون وفتح الدال يليها ألف فكاف مكسورة فراء فى الآخر] : الشجاع الجسور ، فارسية ، نقلها فريتغ عن بعض كتب العرب ؛ وكان حقه أن يقول ما ذكرناه فى كلمة الكند

أما صاحب البستانى فذكر الكند إذ قال : الكند بالضم الشديد الشرس (معرب) . فأراد أن يبين أنه لا ينقل عبارته عن محيط المحيط ولا عن أقرب الموارد فقدم وأخر فقال : « الشديد الشرس معرب » عوض أن يقول : الشرس الشديد فارسى .

فيا للأسف ! كيف أن أبناء العرب ينقلون لغتهم عن الدخلاء ولا يشعرون بالضرر الذى يلحقونه بلسانهم الفصيح ، البديع ، البليغ بعملهم هذا المليم ! وكيف أنهم يسرقون ألقاب غيرهم ولا يقرون بفضلهم ، وكيف أن الله يهتك أسرارهم وسرائرهم بصورة لا تعلى شرفهم

وخلاصة البحث فى القند ، أنه يقال : القُنْد ، والكُنْد ، والقِنْس ، والقُنّس ، والقُنس ، والقَنْص ، والقُنّص ، والقُنَص ، والقُنُص ، والقَوْنَس ، والقوْنَص . وإذ

زدنا عليها ما يقوله صحفيون فى هذا العهد، أى الكنْت والكونت، وما ذكره بادجر فى معجمه الإنكليزى العربى، الذى صححه الشيخ أحمد فارس الشدياق، أى القونت، مَثَلَ بين يديك رجل عربى ينطق بأربع عشرة لغة، فلله درُّهُ من لغوى بارع!

٨ — الهِبْياط

قال فى تاج العروس: « الهَبْياط، بالفتح، صاحب الجيش بالرومية. وقد جاء فى حديث حبيب بن مسلمة: إذا نزل الهَبْياط ثم قال: هنا (أى فى مادة ه ن ب ط) ذكره ابن الأثير [صاحب النهاية]، وذكره الصاغانى فى مادة (ه ب ط) وقلدهُ المصنّف أى [الفيروزابادى] والصواب أنه بالنون. وقال فى تركيب ه ب ط: « الهِبياط، بالفتح: ملك الروم. نقله الصاغانى هنا. والصواب أنه الهَنباط بالنون » اهـ. وفى النهاية لابن الأثير المطبوع فى مصر، ضبط الهَنباط بالضمّ، وهو خطأ، لأنه مخالف لنصوص جمهرة اللغويين.

وكان فكرنا فى أول الأمر أن الهَنباط مقطوعة من الرومية (إنبراطور)، لكن نبّهنا الأستاذ الأجل إلياس قدسى إلى أن الكلمة من اليونانية Hypatos (هُبَاطُس)، وأول معناها: الأعلى والأرفع، ثم أطلق عندهم على الرئيس الأعلى؛ أى ما يسميه الرومان (قنصلاً). وكان يراد بالهَنباط يومئذ لقب أحد الحاكمين الأعظمين اللذين كانا بديوان رومة. وجاء الهِبياط بعض الأحيان بمعنى قنصل الإقليم، وهذا كان يسمى باللاتينية پْرُو قنصلاً. وكان الهِبياط يلفظ فى أول الأمر (هُبَاط) وزان غراب، ثم (هِباط) بكسر الأول ككتاب، ثم صحفه بعضهم فقال (هَيباط) بياء مثناة بعد الهاء. وآخرون قالوا (هنباط) بنون بعد الهاء. فالمادة الأصلية هى (هبط) وكان يجب على اللغويين أن يذكروها فى هذا التركيب الثلاثى لا فى سواه.

وأصل اليونانية Hypatos (هُفاطُس) Hypamos (هفاُمس)، أى أن اللفظة فى أصل وضعها القديم كانت بالميم، ثم قلبت تاء أو طاء. قلنا: فإذا جردنا الكلمة من زوائدها، يكون لنا (هفا) أو (عفا)، لأنه ليس فى لغة اليونان حرف حلقى نخم، فعندهم الهاء والعين شىء واحد، والعرب تقول: عفا فلان على فلان فى العلم وغيره زاد. واسم الفاعل عافٍ والجمع عُفاة. فالهِباط أو العفاط هو العالى لا غير فى أصل معناه، أى المشرف على غيره بالعلم أو بالرئاسة

وقلب الميم تاء أو طاء فى العربية واقع وقوعه فى اليونانية. فقد قال بنو عدنان: حات يحوت بمعنى حام يحوم، وقالوا: القَطْس كالقَمْس، ورجل أطرط الحاجبين كأمرطهما، وجعل الهاء عيناً، وبالعكس أمر مشهور أيضاً لا يحتاج إلى تأييد، من ذلك قولهم: تربّع السراب وتربّهَ، وعاث فيه وهاث، والهَنَشنش كالعنشنش، والهكوك كالعكوك والهجفة من النساء كالعجفة. فاتضح من هذه المقابلة اللغوية أن اللفظين هما واحد فى الأصل، وهذا عجيب غريب!

(له صلة)

الأب أنستاس ماري الكرملي
من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

الفصول والغايات

فى تمجيد الله والمواعظ

وهو معجزة أبى العلاء المعرى فى النثر

لم يبق منه إلا نسخ محدودة

فاطلب نسختك قبل نفادها

يباع فى ادارة الرسالة وثمنه ٣٠